

ثورة الطوارق ضد الوجود العثماني والتحركات الفرنسية بصحراء الأزرق

م.د. خالد أحمد صبح الويس

كلية الاداب / الجامعة العراقية

Tuareg Revolution against Ottoman Presence and French

Movements in Azqar Desert

Md. Khaled Ahmed Subah Al-alwis

College of Arts - University of Iraq

الخلاص

تتناول الدراسة المقاومة الطوارقية للوجود العثماني والفرنسي في صحراء الجزائر، وتسلط الضوء على مقاومة الطوارق في مناطق مثل هقار في أواخر القرن التاسع عشر. بدأت هذه المقاومة مع رفض الطوارق للبعثات الاستكشافية الفرنسية التي كانت تهدف إلى تهديد الطريق للاستعمار العسكري. أحد أبرز الأحداث في هذه المقاومة كان هزيمة بعثة الكولونيل فلاتر Flatter في عام ١٨٨١ على يد الطوارق بقيادة الشيخ أمود. وتعكس هذه الهزيمة مقاومة قوية وموحدة من قبل الطوارق ضد الاحتلال الفرنسي، وهي تمثل مرحلة هامة في تاريخهم. كما تُظهر الدراسة كيف أن الطوارق لم يقتصر على المقاومة العسكرية، بل أظهروا أيضًا تحركات ثقافية ودينية لمواجهة النفوذ الاستعماري. على الرغم من القمع المستمر، فإن الطوارق استمروا في مقاومة الاستعمار حتى في العقود التالية.

كلمات مفتاحية: (الطوارق، الوجود العثماني، الاستعمار الفرنسي، مقاومة الطوارق، صحراء الجزائر)

Abstract

This study explores the Tuareg resistance to French colonialism in the Sahara, particularly focusing on the Hoggar region in the late 19th century. The resistance began with the rejection of French exploratory missions intended to pave the way for military occupation. One of the most significant events in this resistance was the defeat of Colonel Flatters' expedition in 1881 by the Tuareg led by Sheikh Amud. This defeat symbolizes a strong, unified Tuareg opposition to French colonization, marking a crucial phase in their history. The study also highlights that the Tuareg resistance was not only military but also cultural and religious in nature, aiming to protect their land and identity from colonial influence. Despite continuous repression, the Tuareg persisted in their resistance through the years following these events.

Keywords (Tuaregs, French colonialism, Tuareg resistance, Sahara Desert)

المقدمة

شهدت منطقة صحراء الأزرق في شمال أفريقيا سلسلة من الأحداث التاريخية التي شكلت محطات هامة في مسار مقاومة الشعوب المحلية ضد الاحتلال الأجنبي؛ فقد كانت هذه المنطقة مسرحًا لثورة الطوارق ضد الوجود العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، كما مثلت نقطة انطلاق للاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر. الطوارق، وهم من قبائل الأمازيغ الذين عاشوا في بيئة صحراوية قاسية، كانوا يمثلون عقبة كبيرة أمام محاولات السيطرة الخارجية على الأراضي الصحراوية، سواء من قبل العثمانيين أو الفرنسيين. رغم أن العثمانيين قد نجحوا في فرض سلطتهم على جزء من السواحل المغربية، إلا أن سلطتهم لم تمتد بفاعلية إلى المناطق الصحراوية حيث كان الطوارق يتمتعون باستقلالية كبيرة، سواء في تنظيماتهم الاجتماعية أو في أنماط حياتهم البدوية. مع بداية التوسع الفرنسي في الجزائر، سعت فرنسا إلى تأمين سيطرتها على الصحراء الكبرى، بما في ذلك صحراء الأزرق، وهو ما قوبل بمقاومة شرسة من الطوارق الذين اعتبروا هذا

الاحتلال تهديداً لحرية تنقلهم وتجارة القوافل التي كانت تربطهم بمناطق غرب إفريقيا. وقد تميزت هذه المقاومة بأسلوب حرب العصابات، حيث استغل الطوارق معرفتهم الواسعة بالبيئة الصحراوية للتمرد على القوات الفرنسية. ورغم أن فرنسا تمكنت في النهاية من فرض سيطرتها على المنطقة، فإن هذه المقاومة استمرت لفترة طويلة، مما يعكس قدرة الطوارق على الصمود في وجه القوى الاستعمارية. حيث خضع الطوارق للأمر الواقع، وتم دخول العثمانيين إلى غات بزعامة ومباركة محمد الصافي حاكم غات، ولكن في الحقيقة لم يكونوا راضين عن هذا الانسواء، لاسيما وأنهم فقدوا مزايا كانوا يحصلون عليها قبل الوجود العثماني، وعلى ما يبدو أنهم كانوا على أهبة الانتفاض على هذا الحكم، وهذا ما حدث عام ١٨٨٦ م. أما موضوع الصحراء الذي كان شغل فرنسا الشاغل منذ عام ١٨٥٢ م فقد لقي اهتماما جديدا منذ عام ١٨٩٠ م، وأصبح مشكلة دولية كان لزاماً علينا أن نلقي نظرة على التحركات الاستعمارية.

أولاً: ثورة الطوارق ضد الوجود العثماني في غات ١٨٨٦

واجه الوجود العثماني في العهد الأخير الكثير من الثورات منها ثورة الطوارق إلا أن أبرزها تلك التي وقعت في غات، والتي أدت إلى أن استولى الأزرق على عاصمتهم، وكان ذلك في ٥ أكتوبر/تشرين الأول ١٨٨٦ ومن الأسباب التي أدت إلى هذه الثورة قيام الشريفين حميد وحمد بحركة ضد العثمانيين بالشاطئ، حيث قتل في هذه المعركة العديد من المواطنين، وفر هذان الشريفان من وجه السلطات العثمانية، وقامت السلطة بتتبع آثارهم، حيث علمت أن حميد موجود بالبركت وهي قرية قريبة من غات، وهو يحرض الطوارق على أن يبعثوا معه الرجال لجهاد في سبيل الله.^(١) أرسل الحاكم محمد الصافي قوة تتكون من سبعة وعشرين رجلاً، وضابطاً حيث هاجموا الشريف حميد في بيته، ولما حاول الدفاع عن نفسه رموه ببنادقهم وأصابوه في رجله وتركوه^(٢)، وتعددت الروايات حول هذه الواقعة، ولكنها متقاربة، وتحرك أهالي البركت من أجل حماية ضيقتهم، وكان هذا الحادث هو الشرارة التي أشعلت ثورة الطوارق في المنطقة على السلطة العثمانية فيها، حيث تجمع عدد من الهقار بقيادة شيخهم أق بكر ومعه تابعه (مغاطه) وكذلك محمد تكروف بن كسلاله، وأعلنوا خروجهم على الدولة، وقاموا بإبذار القائمقام غات، محمد الصافي أن يخرج الحامية العثمانية منها ويبعدها إلى مرزق أو يقتلوهم^(٣)، كما هددوا بقتل كل من يعترض طريقهم من الأهالي أو من التجار، وكان متصرف فزان قد سارع بعد عودة رسوله إلى إرسال قوة إضافية إلى غات، إلا أن الثائرين قاموا بمحاصرة غات، واعترضوا أي مدد جديد ترسله مرزق، وقد كانت الظروف صعبة في غات بسبب هذا الحصار، وكتب قائمقام غات إلى قائمقام غدامس في ١٩ أغسطس/آب (١٨٨٦م) يصف الحالة التي تمر بها غات ويحيطه علماً بأهم الأحداث التي جرت فذكر أن عدد الخارجين قرابة المائتين، وأن مطلبهم هو خروج الحامية العثمانية من غات^(٤) فقد أثرت هذه الأحداث في تجارة القوافل التجارية لاسيما تجارة غات التي كانت مركزاً من أهم مراكزها^(٥)، واهتم تجار القوافل لاسيما من أهل غدامس بمتابعة الأخبار، وكان لهم مندوبون مقيمون في غات وفي تلك الفترة الطويلة من الحصار توفي الشيخ محمد أخنوخ زعيم الطوارق^(٦) فبرزت مسألة خلافة الزعامة.^(٧) وهناك رسالة مؤرخة في ٤ ذي القعدة بعث بها أحد الغدامسيين اسمه هيبه إلى خاله سيدي الحاج محمد الكيلاني بن محمد عثمان الغدامسي نقل فيها أخبار رحلته من غات خلال تلك الفترة ضمن رسالة بعث بها قريبهم الحاج محمد صالح المقيم فيها. تقول الرسالة: "كتب ابن عمنا الحاج محمد الصالح يسأل اللطف من الله سبحانه وتعالى من الفتن والوقائع، ويذكر أن غات وضواحيها كلها في ضيق وشدة من الطوارق الذين، قطعوا الطريق على الداخل والخارج من أجل الشريف الذي يريد مسكه الصافي، والعسكر، وقطعوا الطريق وأخذوا مونة العسكر، وفلوس شهرية حتى الحمول التي أتوا من طرابلس حبسوها في الشاطئ... لا يدخل غات حتى المونة بايش يعيشوا الناس وكذلك الغاتي ما قعد لهم شيء في السواني ولا قعد أحد من تدمرت ولا نواحي غات، الذي كان في نواحيها كله هرب ودخل البلد، والعسس ليل نهار، وباب غات ما ينحل إلا ساعتين في النهار ويغلق في العصر والغدامسية الذين كانوا فيها قلقين من هذا الأمر، وهذا العام على ما ظنوا ينقطع الطريق على الماشي والجاي... والطوارق كانوا ينتظرون يحيى قدومه.... والحاج محمد أخنوخ توفي في انتظار رحمة الله علينا وعليه وعلى جميع المسلمين، وكذلك العشان به أغاروا على امغاطن الأزرق أخذوهم وكذلك الحاج العربي خرج من توات لغات لحقوه الشعانبة أخذوه والله يلفظ.^(٨) وسعى الشريف حميد من ناحيته لجذب يحيى ابن أخت محمد أخنوخ إلى صفهم، وكان موجوداً في برنو فأرسل له رسلاً لاسيما في الوقت الذي بعث به، طوارق غات له ليخلف خاله في زعامتهم، وكان يحيى هو الخليفة الشرعي^(٩) وقد بعث قائمقام غدامس إلى متصرف الجبل الغربي يحيطه علماً بسعي الشريف حميد وربما وصله من أخبار نقلها نفر من الطوارق قدموا إلى غدامس مع إحدى القوافل^(١٠) وحملوا رسالة الصافي قائمقام غات له ومما جاء في رسالة قائمقام غدامس مؤرخه في ٣ ذي القعدة: "ومن الأخبار التي ذكرها أن أحمد الشيخ بن حسين أتى إليه الشريف وهو يحضر نفسه، وقد أرسل رقا صا مخصصاً ليحيى ابن أخت أخنوخ بك إلى برنو الذي

يتأمل انه سيكون عوض خاله، وما نعلموا من بغضه في المعسكر الشاهانية وقلة عقله نرجو الله ألا يأتي به أبداً، وقد أخبروا أنهم قد صاروا مسموعهم بأن الشعانبة التي عرضنا على مسامعكم الشريفة أنهم توجهوا لأجل الغارة على هقار، وقد أغاروا على بعض الهقار الذين هم في الطرف، و أخذوا منهم نحو المائة وستين جماً ورجعوا إلى وارقله. وقبل التاريخ بنحو سبعة أيام قد أتى ثلاثة أنفار من سرت لأجل التجارة، ولما استخبرنا عنهم أنهم يشتررون الرواحل وطاسات الماء وآلات الحرب وقد سألهم بعض التجار عن ذلك أخبروا أن حاكمهم قد نبه على كافة الأهالي أن يركبوا الهجن والخيول ويكونوا حاضرين إلى وقت الخريف، وقد أذن لهم في الغارة على ترب هقار خاصة لأجل وقوع المضايقة لعسكر غات فيها.^(١١) وتشبث القائمقام محمد الصافي بمحاولة القبض على الشريف حميد، وأعاد الطلب إلى رؤساء الطوارق أن يتخلوا عنه ويسلموه إلى الحكومة العثمانية، ولكن الطوارق لم يستجيبوا، وترقب الصافي وصول يحيى من برنو من أجل تهدئة الأمور كما بات مترقبا هجوم الطوارق على غات لاسيما بعد أن كتب إليه المتصرف يحذره من هذا الهجوم، وبعد أن فشلت جهوده في تحويل شيخ الهقار ورفيقه ونكروفي عن نصرة الشريف، ولم تجد مع الطوارق النصائح ولم يقبلوها^(١٢)، وكان قد مضى على حصار غات عند كتابة الرسالة خمسون يوما ووصف القائمقام في رسالته هذه بتاريخ ٤ ذو الحجة حالتهم في غات قائلاً ((...ويبدو في رسالة أخرى كتبها في اليوم نفسه أن أعصاب الجند كانت متوترة حتى أنهم كانوا يطلقون البارود على الخيال فأمرهم بالكف عن صرف البارود في غير معاناة صحيحة، وأنهم هربوا من أحد الممرات حين توهموا حدوث هجوم لينجوا بأنفسهم))^(١٣). وتعرضت الجماعات الثائرة لتجارة القوافل، ونهبوا بعض قوافل طرابلس وكذلك غدامس^(١٤)، ورأى الصافي قائمقام غات أن يستعين بمحمد بن أخنوخ زعيم غات في استرجاع بعضها، ونجح في ذلك، واهتم والي طرابلس أحمد راسم بما يجري هناك لاسيما فيما يتعلق بأمر تجارة القوافل.^(١٥) وتبين إحدى الرسائل التي بعث بها الصافي إلى والي بتاريخ ٣ مارس ١٨٨٦م إلى قائمقام غدامس يخبره بكيفية استرجاع العشرين جماً والاثنتين والخمسين حملاً من البضائع التي اغتصبها الطوارق من قوافل الطرابلسيين والغدامسيين على مسافة سبعة أيام من غات، وقد كان والي يستحث الصافي من أجل القبض على الشريف حميد^(١٦)، ويذكر له في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى الصافي قائلاً: "لقد فهمنا أنه قد لحق بشخصكم الكريم بعض المضايقات إلا أننا كتبنا لمتصرف فزان بشأن إعطائكم المقدار الكافي من الصلاحيات، ولا يوجد هناك ما تؤاخذون عليه غير عدم العثور والقبض على المدعو بالشريف حتى الآن وعليه فإن كم مثل ما بعثتم ابن اخنوخ لاسترجاع البضائع المغتصبة السابقة الذكر فإننا نهيب بكم أن تبعثوا في الحال من ترونه كفاً لإلقاء القبض على الخبيث المذكور فعملاً بالشعارات المكررة بخصوص هذه المادة المهمة ابذلوا في الحال أقصى اهتمامكم لبلوغها وبشرونا بأنكم قبضتم على المذكور حياً أو ميتاً وأنى في انتظار بلوغ مساعيكم ... وأوصيكم بأن تمدوا نظر اهتمامكم للمحافظة على أمن الطرق وسكينتهم".^(١٧) وبرز محمد بن أخنوخ على مسرح الأحداث، وتطلع إلى أن يخلف أباه في زعامة غات وبلاد الأزق مخالفاً تقاليد الطوارق وعاداتهم ومتعدياً على حق يحيى ابن عمته، ويبدو أن متصرف فزان شجع عنده هذا التطلع الأمر الذي استوجب تنبيه الولاية والمتصرف إلى ضرورة التزام سياسة دقيقة لا تؤدي إلى الأضرار بيحيى وغضبه، وتحول دون حدوث ما يخل بالأمن والسكينة، كما يبدو أن القائمقام في غات اتخذ موقف التأييد لمحمد فدفع بيحيى إلى اللقاء مع الشريف وإعلان العداوة للسلطات العثمانية لا سيما وإن سبق له الاحتكاك بالسلطات، وكان ذلك أحد أسباب مغادرته إلى برنو.^(١٨) وعاد يحيى بناء على إشارات الاستدعاء التي وصلته، وتوالت الأحداث بعد عودته بسرعة، وكان من أبرزها قتل محمد الصافي قائمقام غات، وقد تضمن التحقيق بعضاً من التفاصيل عما جرى في تلك الفترة، ويتضح من التحقيق أنه حين عاد اتخذ جانب الشريف حميد ولجأ إلى البركت، وأسهم في شن الغزوات على القوافل.^(١٩) وقد ذكر التاجر الحاج السنوسي الكياري في تقريره للتحقيق أنه تعرض لهجوم الطوارق الثائرين عليه خلال رحلاته من بلدته مرزق إلى غات ومعه أربعة قفز قمح وثلاثون رأساً من السكر لأجل التجارة، ويقول فلما وصلت إلى وادي تنزوف قرب الطولة أتاني الطوارق خمسة وستين مهري وقادوني معهم إلى عين تهالة، ووجدت قافلة بضاعة بن على الفزاني وطعام الأهالي، وأخذوها كذلك وسلبوني، وأخذوا جميع ما عندي وجمعوا كامل ما نهبوه على وجه الغارة في العين المذكورة طعام الميري وبضائع التجار وقسموه بينهم ورفعونا إلى عين قرب البركت تسمى تكويه والعرب ساقهم يحيى إلى البركت عنده كما أن يحيى أجرى اتفاقاً مع أولاد سليمان والشعانبة لينضموا إليهم في ثورتهم على السلطات.^(٢٠) وقد ذكر الكياري أن رقاصاً^(٢١) أتى من جهة الشعانبة بجوابات ليحيى ورقاصاً من أولاد سليمان^(٢٢) أبلغوه أنهم قادمون وقصدهم الفساد والتشويشات على فزان وغات ثم عمد يحيى إلى الحيلة للايقاع بحمد الصافي، وتم ذلك وفقاً لرواية التاجر محمد بن علي القطروني، الذي تصادف وجوده بغات حين أتى يحيى طالبا الصلح فصار الصلح بينهم وبين الصافي، واحتفلوا بهذه المناسبة، وفي اليوم التالي أتاه الطوارق وقالوا له اخرج معنا، واكتب لنا جوابات الصلح فخرج معهم الصافي ومعهم الملازم

إبراهيم أفندي إلى أحد الأم اكن خارج البلد على مسافة ثلاثين خطوة على باب البلاد وبأشر في كتابة الجوابات، حيث كتب اثنين وعندما بدأ في كتابة الثالث هجم عليه عشرون رجلا من الطوارق الذين كانوا برفقة يحيى، وأمسكوا الصافي والملازم إبراهيم أفندي، وعندما امتنع الصافي عن السير معهم ضربوه بسيف على فخذيه وعلى رأسه وربطوه من رقبته ورجليه^(٢٣)، وكذلك فعلوا مع إبراهيم أفندي ثم أخذوه إلى جبل تاسيلي، الذي يبعد عن غات نصف نهار خارج العسكر للبحث عن الصافي إلا أنهم لم يجدوه، واستطاع إبراهيم أفندي الفرار من الجبل قاصدا غات ولكنه عطش في الطريق وعند ذلك قصد البركة فلحقه الطوارق ومسكوا به وبقي عندهم في البركة. أما الصافي فقد ظل محبوسا عند الطوارق في الجبل، وقد علم مدير ناحية وادي الغربي بوعيشة ما حدث للصافي فكتب إلى متصرف فزان رسالة بتاريخ ٢٦ أغسطس/ آب ١٨٨٦ م يخبره بما جرى على لسان رجل اسمه أحمد بن عمر قدم من غات ذكر أن الطوارق خانوا الصافي، وقد اعتدوا عليه بالضرب وأخذوه معهم إلى مكان غير معلوم^(٢٤) وقتل الطوارق الثائرون محمد الصافي، وهاجموا غات واحتلوها، وفرت الحامية العثمانية منها، وقد عزا متصرف فزان يحيى نزعت أسباب انتصار الطوارق إلى تقصير قائد الحامية في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمجابهة مثل هذه المفاجأة، وذكر في تقريره أن الجراح محمد أفندي لم ينصع لأمر اليوزباشي وانهزم معه فرسان العرب وثلاثون جندياً عائدين إلى مرزق.^(٢٥) لقد كانت ثورة الطوارق في غات بقيادة حميد ويحيى من الثورات التي كثيرا ما نشبت إبان الحكم العثماني لطرابلس الغرب، وكان الطوارق قد تعودوا حكم أنفسهم بأنفسهم، وتعودوا أن يكونوا سادة الصحراء يتحكمون في تجارة القوافل فمن الطبيعي أن يضيّقوا بالسلطة العثمانية لاسيما حين يمثلها في مناطقهم من يسىء التصرف، ولم يكن قد مضى عليهم وقت طويل على الانضواء تحت الحكم العثماني، حيث قاموا بهذه الحركة، فقد تم رفع العلم العثماني في غات يوم الخميس الموافق ١٢ مايو/ أيار (١٨٨٧م)^(٢٦)، كما تبين رسالة على بن محمد متصرف فزان للولاية، وكان ذلك بحضور الشيخ أخنوخ والصافي وأهالي البلدة لقد كان بعض سكان غات يرغبون في الحكم العثماني، وربما كان بإمكان العثمانيين أن يستولوا على المدينة بالقوة، ولكنهم عادوا إلى المدينة بالتقاهم مع بعض القبائل، وقد جاء إلى فزان بعد أن نصب متصرفاً لها أحد نبلاء طرابلس وهو منصور باشا وبرفقته بضع مئات من الفرسان، وعندما استسلم الطوارق دخلت القوات التركية غات في ربيع عام ١٨٨٧م^(٢٧) ونصب الحاج أحمد بن حسن الأنصاري ابن أخ محمد الصافي برتبة قائم مقام على غات^(٢٨)، وكان استرداد غات دون سفك الدماء مفيداً لعلاقات العثمانيين مع الطوارق في المستقبل، ولكنه أثر سلباً في النفوذ العثماني في الصحراء، فقد أغلق ممر غدامس غات في وجه القوافل التجارية مدة من الزمن أسفر عن ذلك تغير التجارة نحو شرق فزان.^(٢٩) أما فيما يخص الشريف حميد فقد أوردت إحدى الرسائل مصيره، وكانت هذه الرسالة قد أرسلها أحمد راسم إلى رئاسة الوزارة في إسطنبول بتاريخ ١٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٨٩٤ م تتحدث عن ظهور الشريف في فزان وأنه قد تم القضاء عليه وعلى حركته التمردية.^(٣٠) أما الشريف محمد الكيلاني فقد ألقى القبض عليه بمرزق في أواخر فبراير/ شباط ١٨٩١م على يد اليوزباشي على عبد السلام الذي كان في الشاطئ عند قيام الحركة، ويبدو أن محمد كان مختفياً عن الأنظار فترة ثم جاء إلى مرزق، وتقدم بعرض حال إلى أحد رجال الحكومة، وتصادف وجود على عبد السلام فعرفه، وقد أفاد على في التحقيق قائلاً: "عرفت أنه هو الشريف محمد فقلت له أنا عرفتك أنت الشريف محمد الذي هاجم العساكر الشاهانية بالشاطئ فقال لي أنا دخيلك لا تخبر عني فقلت له لا يمكن أن أسكت عنك وأخبرت به محمد بك فأمر بتوقيفه، وأغلب الظن أنه قتل بعد ذلك".^(٣١)

ثانياً: التحركات الفرنسية ببلاد الأزرق

١- المعاهدة الإنجليزية الفرنسية عام ١٨٩٠ م:

أن معاهدة ١٨٩٠م بين الإنجليز وفرنسا حول السودان هي نتيجة للمعاهدة بين بريطانيا - ألمانيا في يونيو/ حزيران ١٨٩٠م لحل موضوع شرقي أفريقيا، ففي القرن الثاني عشر أسست دولة عربية شرقي أفريقيا عاصمتها زنجبار، وكانت تحت النفوذ الإنجليزي، وقد تغير هذا الوضع عام ١٨٨٤م لكن البحار الألماني كارل بيترز (Karl Peters)^(٣٢) أسس جمعية تحت اسم (المستعمرات الألمانية) وتحت هذا الاسم يعقد بعض المعاهدات مع القبائل في شرق أفريقيا، وأصبح يملك حقاً على مساحة ١٤٠ ألف كيلو متر مربع، وعند عودته سلمها إلى دولته، وبذلك أصبحت ألمانيا تملك مستعمرة في شرق أفريقيا دون رغبتها، وعند عودته تحركت إنجلترا نحو منطقة البحيرات ومنابع النيل التي كانت بيد أتباع المهدي المناضلين ضد الإنجليز، وبعد المفاوضات عقدت معاهدة بين إنجلترا وألمانيا في ١٥ يونيو عام ١٨٩٠م على أن تتخلى ألمانيا عن أوغندا وتأخذ في مقابل ذلك جزيرة هلي جولاند الواقعة في بحر الشمال، وقد احتجت فرنسا على المعاهدة؛ لأنها تمت دون علمها لأن قصدها كان الحصول على بعض التنازل وطلبت بأن يوافق على استيلائها على جزيرة مدغشقر وتعديل المعاهدة

الفرنسية الإنجليزية لعام ١٨٧٥م^(٣٣) وتحديد ممتلكات فرنسا وإنجلترا في السودان^(٣٤) وقد وافقت إنجلترا على دراسة تلك الطلبات باستثناء ما يتعلق منها بتونس فكان الحوار حول تثبيت حدود ال دواخل الجزائري، وأكدت فرنسا اتخاذ بعض القرارات لتسهيل نفاذها نحو تشاد وتمبكتو أمام تصدي الطوارق والدولة العثمانية وبذلك منعت توسع المغرب نحو توات وتوسع الدولة العثمانية نحو غرب غدامس، وغات وقد نجحت فرنسا في الحصول على مطالبها.^(٣٥) وتمت المعاهدة في لندن بتاريخ ٤ أغسطس/ آب ١٨٩٠ م وتضمنت المواد الآتية:

١- تعترف فرنسا بحكم إنجلترا في زنجبار وتوافق إنجلترا على حكم فرنسا في مدغشقر، ومن الجهتين يسمح للمبشرين بأن يتحركوا احرارا في مجال نشر الدين وتحفظ حقوق الرعايا الإنجليز في الجزيرة.

٢- تعترف إنجلترا بنفوذ فرنسا في البحر المتوسط حتى النيجر على الساحل الغربي لبحيرة تشاد، ويقوم مفوضو الدولتين بتحديد الحدود وتثبيت مناطق النفوذ في غرب وجنوب النيجر العليا والوسطى وجنوبها وإبصار من إنجلترا عززت المعاهدة بملحقين على فرض حقوق السلطان على مناطق جنوب ولاية طرابلس.^(٣٦)

إن المعاهدة التي عقدت بين فرنسا وإنجلترا عام ١٨٩٠م فسرت نظرية الهنترلاند لصالح فرنسا وأتاحت قدرات النفاذ نحو الصحراء والسودان من الغرب بعد أن عد الهنترلاند الجزائري في الجنوب حتى نهر النيجر، وبذلك تمكنت فرنسا من الدخول إلى بحيرة تشاد التي تعد هي مفتاح أفريقيا السوداء وأصبحت منطقة تجمع ممتلكات فرنسا الأفريقية فقامت فرنسا بتوجيه جهودها نحو تلك المنطقة فيما بعد.^(٣٧)

٢- ردود فعل الدولة العثمانية علي المعاهدة الفرنسية.

عندما علمت الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة ١٨٩٠م بين إنجلترا وفرنسا^(٣٨) طلبت من سفرائها موافاتهم بالمعلومات التامة حولها، فقام سفيرها في لندن بإرسال الجواب إلي وزارة الخارجية في ١٣ أغسطس/ آب عام ١٨٩٠م مرفقا بصورتين الملحقين اللذين يحفظان حقوق الدولة العثمانية الأول بيان سالسبورى^(٣٩) حول معاهدة ١٨٩٠ م التي عقدت بين إنجلترا وفرنسا^(٤٠)، والتي لم تنتهك حقوق السلطان في جنوب ليبيا والثاني تأييد دينغتون السفير الفرنسي في لندن وقد طم أنت هذه المعلومات الباب العالي لكن الدولة العثمانية رأت أيضا ضرورة تثبيت الأمكنة التي يجب أن تكون تحت نفوذها وفقا لنظرية الدواخل وإبلاغ الدولة المعنية بمواد معاهدة برلين عام ١٨٨٧م، ولكي تكون حقوقها محفوظة عند الاحتلال الفرنسي المحتمل حفظاً جزئياً أو كلياً على جزء مهم من الصحراء الكبرى وهي الجنوب الليبي ولهذا القصد جهزت خريطة في رئاسة الجمهورية، وبعد مناقشتها في مجلس الوزراء وتحديد النفوذ العثماني في الجنوب الليبي،^(٤١) تقرر إبلاغ الدول ذات العلاقة بذلك و أبلغ القرار إلى وزارة الخارجية برسالة مؤرخة في ٣ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٨٩٠م وكان هذا أساسا للمذكرة العثمانية الصادرة بتاريخ ٣٠ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٨٩٠م والتي فرضت حقوق الدولة العثمانية على الدواخل الليبية وقد جاء في المذكرة شرح للنظرية العثمانية حول الهنترلاند الليبي، مفسر تفسيراً خاطئاً بعد أن بينت ضمان الدولتين، فرنسا وإنجلترا لحقوق السلطان على جنوب ولاية طرابلس الغرب كما يأتي...)) بالإضافة إلى غدامس، وغات، والقطرون، وازقر، وطوارق، ومرزق وتجرهي، وضواحيها الواقعة في الصحراء جنوب الولاية التي تحكمها مباشرة سلطات الإمبراطورية فإن حقوق حكومة الإمبراطورية توضح شمولها الإيجابي وفقاً للسجلات القديمة ولنظرية الهنترلاند على المناطق المعنية.^(٤٢) إن المادة الثانية في البيان المشترك الفرنسي والإنجليزي الصادرة في ٥ أغسطس/ آب قد وضعت باروا داخل منطقة النفوذ الفرنسي بالرغم من أن ذلك المكان لم يكن في السابق عائداً لأية دولة ولن يحسب داخل المناطق الفرنسية وفقاً لنظرية الأراضي الداخلية، وموقعة الجغرافي واستناداً إلى الأسباب التي وردت فيجب أن يعود إلى حكومة الإمبراطورية، ويجب ، بحسب الفقرة الثانية من المادة المذكورة التي تؤكد عدالة رسم الحدود أن يبقى ما بحوزة ملكية سوكوتو داخل السلطة النيجرية، ولهذا كانت السلطة العثمانية تحاول ان لا تمس مناطق النفوذ بفقدان التراب عند رسم الحدود، كما جاء في المادة الثانية المذكورة.^(٤٣) وقد سلمت المذكرة إلى إنجلترا في ٥ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٨٩٠م وعند تسليم السفير العثماني المذكرة لوزير خارجية إنجلترا اللورد سالسبورى شرح له شفها أن استيلاء فرنسا على تشاد قد ينتهك حقوق الدولة العثمانية فأجاب الوزير بأنه قد طلب إلى عضو فرنسا سند ضمان من حكومته حول فرض حقوق السلطان، وأن عليهم أن يتحركوا في باريس فأجاب السفير بأنه قد جرى ذلك كما أنه أبلغ حكومته تحذيراً من بيان ريبوت⁽⁴⁴⁾ (Ribot) وزير خارجية فرنسا أمام البرلمان الذي قال فيه إنهم قد تمكنوا من الدخول إلى تشاد في الجنوب والشمال بعد الاستيلاء على طرق القوافل كما حذرهما من قول السفير الايطالي في لندن أن الفرنسيين قد يقيمون سكة حديدية بين غدامس، وغات فهذا كله يكون تجاوزاً على حساب ولاية طرابلس الغرب ، وكان جواب حكومة إنجلترا المؤرخة في ١٩ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٨٩٠م بان المذكرة العثمانية وما ورد فيها لن تمس ملكية بورنو الواقعة تحت النفوذ البريطاني^(٤٥) وحسب هذا الجواب تعترف بريطانيا بالحدود التي وردت في

المذكرة العثمانية بتاريخ ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٨٩٠م باستثناء القسم المتعلق ببرنو، وكان جواب فرنسا المؤرخ في ٢٩ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٨٩٠م بأن فرنسا تنظر بدقة إلى حقوق السلطان في جنوب ليبيا ، ولكنها لن تشارك في النقاش حول المناطق الواقعة خارج إشراف الدولة العثمانية لكونها لم يعد ما يتعلق بالدواخل قاعدة حقوقية دولية وانطلاقاً من هذا كانت فرنسا تعترف بحقوق السلطان على جنوب ليبيا لكنها لم تكن توافق على تطبيق نظرية الأراضي الداخلية بهذا الاتساع على نحو ما جاء في الدواخل الجزائري. أما الدولة العثمانية فقد رأت تطبيق الاكتفاء بمواد معاهدة عام ١٨٩٠م^(٤٦) التي تحفظ حقوقها فوق الهنترلاند ولذلك لم تصر على اعتراضها حول الخلاف فيما يخص باروا وبورنو^(٤٧) كما أن الدولة العثمانية لم تلب مطالب سكان الهنترلاند في الدخول تحت حكمها كما لم توافق على طلب حاكم كاوار المتكرر لعام ١٨٩٠ و ١٨٩٧ م للدخول تحت الحماية التركية وإرسال حامية له وكان ذلك دليلاً على أن الدولة لم تكن تنوي التوسع خارج ليبيا، ولا شك أن السبب كان الضعف المادي والسبب الثاني المحتمل هو عدم غصب الشيخ السنوسي المهدي الذي يعد مركز أفريقيا ساحة للدعوة، ولكن الأسباب الحقيقية كانت سياسية ، فكما ورد من قبل في إنه يلاحظ أن استيلاء إنجلترا على مصر واستيلاء فرنسا على تونس قد لفتا نظر إيطاليا إلى طرابلس الغرب.^(٤٨) وقد بدأ فرانسيكو كرسبي رئيس وزراء إيطاليا منذ أغسطس/ آب عام ١٨٨٧م في انتهاج سياسة استعمارية حادة فأصبحت إيطاليا منذ ٢٠ مايو / أيار عام ١٨٨٢م عضواً في الحلف الثلاثي ثم صارت من ١٢ فبراير/تشرين الثاني عام ١٨٨٧م عضواً في حلف البحر المتوسط وعند اختلال التوازن في البحر المتوسط أمكن أن تحصل على مساندة حلفائها، وكانت الدولة العثمانية قلقة من وعد الحلفاء لإيطاليا بالولاية ففكرت بالاتفاق مع فرنسا لصد الهجوم الإيطالي كما كانت فرنسا تعزز صداقتها ومساندتها للدولة العثمانية ودفاعها عن حقوق السلطان في مصر لهذه الأسباب لم تكن الدولة العثمانية تريد انتهاك الصداقة الفرنسية بسبب حدود الصحراء وتونس التي تعدها ذات مصالح ثانوية.^(٤٩)

ثالثاً: السعي الفرنسي للسيطرة على صحراء الأزرق

كانت فرنسا بسبب ادعائها حقوقاً على الهنترلاند الجزائري الذي توسع حتى نهر النيجر بحسب معاهدة ١٨٩٠م ترغب في أن تستولي على تلك المنطقة فعلياً، فالنفوذ على الصحراء يجب أن يكون من الشمال أو من الغرب، كما يجب أن تضع فرنسا يدها على الممر الذي طالما سعت للسيطرة عليه وهو ممر غدامس غات الذي يعد أهم وأقرب طريق إلى السودان، لكن تلك المنطقة كانت تسيطر عليها قبائل الأزرق ولو أنها كانت تتبع اسماً سلطة الدولة العثمانية في تلك الفترة وذلك حسب معاهدة ١٨٩٠م وأي تحرك أتجاه منطقة الأزرق سوف يخلق الكثير من المشاكل الدولية ، واتضح هذا الأمر عند مراجعة بعض الغدامسيين للسلطات الفرنسية عند استيلاء الإيطاليين.^(٥٠) بعد تلك المراجعة بدأت الصحف الإيطالية تنشر أن فرنسا تنوي الاستيلاء على غدامس لجذب تجارة الصحراء إلى ممتلكاتها^(٥١) وأبلغت الكي دورسيه السلطات الجزائرية والتونسية بالألا تهتم بتلك المنشورات وألا تتحرك إلا بحسب الإيعاز من البرلمان، ومع ذلك ناقشت القيادة العسكرية المحلية موضوع التحرك نحو غدامس عند احتلال ليبيا بوسطة دولة أخرى^(٥٢) كما ناقشت فوائد تأسيس وكالة غدامس^(٥٣) لإدارة تحركات النفوذ على صحراء الأزرق، ولكن السلطات الجزائرية كانت ترى ضرورة ذلك لتنفيذ معاهدة ١٨٩٠م ولكن القنصل الفرنسي في طرابلس ذكر بالتحركات التي جرت سابقاً لهذا الغرض من السلطات العثمانية وأن تكرارها يزيد سلطان الدولة العثمانية، وربما وافقت السلطات العثمانية على تأسيس الوكالة غير أن ذلك سيؤدي إلى قيام إيطاليا وبريطانيا بتأسيس وكالات أخرى مما يجعل الوكالة الفرنسية غير فعالة،^(٥٤) ولذلك أوصى بإرسال شخص جزائري أو تونسي الأصل تحت رداء تاجر صغير ليسكن في منطقة الأزرق بمدينة غدامس لهذه المهمة.^(٥٥) كما درست فرنسا السيطرة على طريق غات - غدامس بالقوة عام سلطان الطوارق ورئيس قبيلة منغساتن ١٨٩٠م عندما قام بوفنايت من طوارق الأزرق بحرب ضد طوارق الهقار لفتح طريق السودان، وعد السلطان بوفنايت بأنه س يأخذ غات من العثمانيين إذا احتاج الأمر إلى ذلك تأكيداً لصداقته لفرنسا، ولكن ذلك لم ينفذ لأن الاستيلاء على هاتين البلديتين يعد لى إيطاليا والدولة العثمانية بداية الاستيلاء على ليبيا ، وكانت فرنسا تخشى المحاولات التي ربما تفقدها صداقة العثمانيين، وتحرض إيطاليا على طلب التعويض وتغض الطرف على الذهاب إلى الصحراء وتحاول أن تجذب الطوارق إلى ممتلكاتها، لذلك وجب توجيه تجارة غدامس إلى مرفأ قابس، ومعروف أن تلك التجارة بيد الغدامسيين وأنهم حريصون على مصالحهم ، فإن رأوا مصالحهم كبيرة في تغيير الطريق عبر قابس فسيغيرون الطريق بدلاً من طرابلس.^(٥٦) ومع صغر الجنوب التونسي فإن قابس بموقعها الجغرافي كانت تتفوق على المرافئ الجزائرية لجلب تجارة السودان، أما الميزة الثانية فهي أن السلطة التونسية ولو من الناحية الاسمية فقط كانت سلطة إسلامية، ولكن الحدود بين تونس وطرابلس لم تحدد في تلك الفترة بل كانت هناك حدود تمر بالقبائل الرحل وتخلف حيناً بعد حين، وما يتعلق بالحدود بين الجزائر وتونس فكانت تحت

الحكم العثماني ولم يكن هذا الموضوع ذا أهمية^(٥٧)، لكن بعد استيلاء فرنسا على هذه المناطق اكتسب أهمية كبرى، لذلك اتخذ الفرنسيون موضوع الحدود التونسية في البداية، وأصدروا تعليمات للجنود في جنوب تونس بألا يتجاوزوا وادي فسي الواقعة على مسيرة يوم من الحدود^(٥٨)، واستمر هذا حتى عام ١٨٨٦م، فبعد عودة اللاجئين التونسيين من طرابلس إلى بلادهم والذين كانوا قد قاموا بثورة على الحكم الفرنسي، تحركت القيادة العسكرية الفرنسية لتوطيد الأمن في جنوب تونس^(٥٩)، ولهذا طلبت تحديد الحدود بين البحر، والدهبيات لصالح تونس، وتغيير الحدود التقليدية وهي خط البيان - الرمادة الى خط وديان موقطه، وصميدة، وعند أخفاق المؤتمر الذي عقد لتحديد الحدود عام ١٨٩٣م صدر الأمر باحتلال تلك المناطق بين عام ١٨٩٣م وعام ١٨٩٦م، واتجهت السلطات الفرنسية التونسية بعد ذلك نحو الصحراء، وبعد السيطرة على الآبار القريبة من غدامس استولت الجزائرية ١٨٩٨ م ولم يسمح للسلطات الفرنسية التونسية بالتوسع نحو الجنوب وذلك يعني ان التحركات المتعلقة بالصحراء تمنح للسلطات الجزائرية فقط^(٦٠).

رابعا: العلاقة بين مقاومة الطوارق والاستعمار الفرنسي في صحراء الأزرق

تعتبر العلاقة بين مقاومة الطوارق والاستعمار الفرنسي في صحراء الأزرق واحدة من أبرز ملامح التاريخ الاستعماري في شمال أفريقيا، حيث شكلت صمود هذه القبائل ضد القوى الاستعمارية أحد أكبر التحديات التي واجهتها فرنسا في محاولتها للسيطرة على الجزائر ومناطق الصحراء الكبرى. مع وصول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر في عام ١٨٣٠، بدأت فرنسا تتوسع تدريجياً نحو المناطق الداخلية، ومن بينها الصحراء الكبرى التي كانت تحت سيطرة الطوارق. هؤلاء الآخرون، الذين عاشوا حياة بدوية قاسية ومعتمدين على التجارة الصحراوية والقوافل، تمتعوا باستقلالية كبيرة عن القوى المركزية في شمال أفريقيا، سواء كانت عثمانية أو غيرها، مما جعلهم يتبنون سياسة مقاومة شديدة تجاه أي محاولة للسيطرة على أراضيهم^(٦١). لم تكن مقاومة الطوارق ضد الفرنسيين مجرد رد فعل عفوي، بل كانت نابعة من فهم عميق لتهديد الاستعمار لأسلوب حياتهم ونمط عيشهم الذي كان يعتمد على التنقل الحر في الصحراء. فالصحراء لم تكن فقط مكاناً للعيش، بل كانت مركزاً اقتصادياً هاماً لتجارة القوافل التي كانت تربط الطوارق بمناطق غرب أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. وعليه، فإن أي تهديد للسيطرة الفرنسية على هذه الأراضي كان يعد تهديداً مباشراً للهوية الثقافية والاجتماعية للطوارق^(٦٢). في المقابل، كان الفرنسيون يسعون إلى توسيع نفوذهم في الصحراء الكبرى لأغراض استراتيجية واقتصادية، مستغلين المواقع الجغرافية الهامة التي يمكن أن تسهم في تعزيز إمبراطوريتهم الاستعمارية. ومن ثم، كانت عملية الاستعمار في هذه المنطقة لا تقتصر على فرض السلطة العسكرية فقط، بل كانت تتضمن محاولات لتغيير الهياكل الاقتصادية والاجتماعية التي أوجدتها الطوارق على مر العصور. مع مرور الوقت، أصبح التوسع الفرنسي في الصحراء يشمل عمليات تهجير وتفكيك للمنظمات المحلية للطوارق، مما دفع هذه القبائل إلى تبني أساليب حرب عصابات معتمدة على المروعة والكرّ والفرّ^(٦٣). كان الطوارق يدركون تماماً أهمية البيئة الصحراوية في استراتيجياتهم العسكرية، فتمكنوا من استخدامها لصالحهم في مواجهة القوات الفرنسية التي كانت تقتصر إلى القدرة على التنقل السريع في التضاريس الصحراوية المعقدة. وكان الطوارق يستخدمون دراجاتهم العسكرية المحدودة وحروب الخفة التي ساعدتهم على الاستمرار في مقاومة الاحتلال على الرغم من تفوق القوة العسكرية الفرنسية. لكن رغم مقاومتهم المستمرة، فقد تمكن الفرنسيون من إحكام قبضتهم على مناطق واسعة من صحراء الأزرق مع بداية القرن العشرين، خاصة بعد الحروب الطويلة التي شنها الطوارق، والضغط العسكري والاقتصادية التي فرضها الاستعمار^(٦٤). ومع تقدم الاستعمار الفرنسي في المنطقة، ازدادت مقاومة الطوارق قوة وصلابة، حيث استمروا في تنظيم حملات عسكرية لعرقلة الاحتلال الفرنسي في مناطق متفرقة من الصحراء الكبرى. وبالرغم من تفوق القوة العسكرية الفرنسية، إلا أن الطوارق استمروا في المقاومة عبر أساليب متنوعة مثل المفاوضات والحروب المفتوحة والمناوشات المستمرة، مما جعل من الصعب على الفرنسيين فرض هيمنتهم الكاملة على المنطقة. من هذا المنطلق، يمكن القول إن مقاومة الطوارق كانت ذات طابع طويل الأمد، واستمرت حتى بعد احتلال فرنسا لصحراء الأزرق بشكل رسمي، مما يعكس عمق التحدي الذي واجهته القوات الاستعمارية الفرنسية في تلك الحقبة^(٦٥). ومع مرور الوقت، ومع تزايد الضغوط الاستعمارية على الطوارق، شهدت المنطقة عمليات استعمارية أكثر قسوة من قبل الفرنسيين في محاولاتهم لتأمين سلطتهم المطلقة. وقد تميزت هذه الفترة باستخدام التكتيكات العسكرية الشديدة مثل الهجمات على القرى الطارقية والضغط الاقتصادي لتقويض قدرتهم على المقاومة. ولكن، ورغم هذه المحاولات، فإن الطوارق ظلوا رمزاً للمقاومة الطويلة ضد الاستعمار الفرنسي في صحراء الأزرق، مؤكدين على تمسكهم بقيم الاستقلال والحرية في مواجهة القوى الاستعمارية^(٦٦). مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي في صحراء الأزرق كانت واحدة من أهم الفصول التاريخية في شمال إفريقيا، حيث شكلت تحدياً كبيراً أمام التوسع الاستعماري الفرنسي الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر. الطوارق، الذين ينحدرون

من شعوب بربرية، عاشوا في صحراء شمال إفريقيا الواسعة لآلاف السنين، وتكيفوا مع بيئتهم الصحراوية القاسية، ما جعلهم يتبنون نمط حياة بدويًا يعتمد على الترحال والرعي والتجارة عبر طرق الصحراء. لكن مع وصول الفرنسيين، تغيرت هذه التوازنات الطبيعية والاقتصادية، وبدأت تظهر التوترات في العلاقات بين الطوارق والاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى فرض سيطرته على الأراضي الصحراوية واستخدامها كمراكز استراتيجية وموارد.^(٦٧) عندما بدأ الفرنسيون في تمديد سلطتهم في المناطق الصحراوية، وجدوا في الطوارق مقاومة عنيفة وصمودًا قويًا. لم يكن الطوارق فقط يقاومون السيطرة السياسية والاقتصادية، بل كانوا أيضًا يدافعون عن هويتهم الثقافية والدينية التي كانت مهددة بفعل محاولات الاستعمار لفرض النظام الفرنسي. رفض الطوارق السيطرة الاستعمارية وبدأوا في تنظيم مقومات مسلحة استخدموا فيها تكتيكات حرب العصابات والكرّ والفرّ. كانوا يعتمدون على معرفتهم العميقة بالصحراء وقدرتهم على التنقل السريع عبر الكثبان الرملية، مما أعطاهم أفضلية كبيرة في مواجهة الجيوش الفرنسية الثقيلة.^(٦٨) رغم التفوق التكنولوجي والعدي للجيش الفرنسي، كانت مقاومة الطوارق تؤثر بشكل كبير على مجريات الصراع. استخدم الطوارق القوافل والخيول والجمال للتنقل والاختفاء في صحراء الأزرق الواسعة، مما صعب على الفرنسيين مطاردتهم أو القضاء على المقاومة بشكل كامل. كان الطوارق يهاجمون القوافل العسكرية الفرنسية والمراكز الاستعمارية بشكل مفاجئ، ثم ينسحبون سريعًا قبل أن تتمكن القوات الفرنسية من الرد. هذا النوع من التكتيك جعل القوات الفرنسية في صعوبة مستمرة في محاولة تأمين المنطقة.^(٦٩) في رد فعلهم على هذه المقاومة المستمرة، كثف الفرنسيون من حملاتهم العسكرية في صحراء الأزرق، وأرسلوا تعزيزات ضخمة من الجنود للقبض على الزعماء الطوارق الرئيسيين وتدمير قواعدهم. استخدموا أيضًا سياسة العقاب الجماعي ضد القرى الطارقية، حيث دمروا المحاصيل وأحرقوا القرى في محاولة لإرغام السكان المحليين على الاستسلام. ورغم ذلك، كانت مقاومة الطوارق مستمرة في عدة مناطق من الصحراء. أحد أبرز القيادات التي تصدرت هذه المقاومة كان الشيخ أمودو، الذي قاد عدة هجمات ضد الفرنسيين في شمال مالي والنيجر. لقد أصبح أمودو رمزًا للمقاومة الطارقية ضد الاستعمار، وكان له تأثير كبير على الجماهير التي حشدها حول قضيته.^(٧٠) على الرغم من أن الفرنسيين تمكنوا في النهاية من فرض سيطرتهم على معظم الأراضي الطارقية في صحراء الأزرق، إلا أن المقاومة الطارقية تركت بصمة واضحة على تاريخ المنطقة. فقد أجبرت فرنسا على تخصيص موارد ضخمة للحفاظ على السيطرة على هذه المناطق الصحراوية الواسعة، وهو ما أثر على استراتيجياتها في شمال إفريقيا بشكل عام. كما ساهمت مقاومة الطوارق في تعزيز الوعي الوطني لدى الكثير من القبائل الصحراوية الأخرى في المنطقة، الذين بدأوا في التعبير عن رفضهم للاستعمار الفرنسي.^(٧١)

تأثير مقاومة الطوارق على فرنسا كان عميقًا على عدة مستويات، سواء من الناحية العسكرية أو السياسية أو الاجتماعية. على الرغم من أن فرنسا تمكنت في النهاية من فرض سيطرتها على معظم مناطق الطوارق في صحراء الأزرق، فإن تلك المقاومة كانت أحد العوامل التي أدت إلى تغييرات جوهرية في الاستراتيجيات الاستعمارية الفرنسية في شمال أفريقيا، حيث لم تكن فرنسا قد توقعت هذا النوع من المقاومة العنيدة والمستمرة من جانب شعب تقليدي مثل الطوارق.^(٧٢) من الناحية العسكرية، شكلت مقاومة الطوارق تحديًا حقيقيًا للجيش الفرنسي، الذي كان يعتمد على أساليب القتال التقليدية والقدرات التكنولوجية المتقدمة. كانت القوات الفرنسية مكونة من جنود مدربين ومجهزين بأسلحة ثقيلة، بينما كان الطوارق يواجهونهم بتكتيكات حرب العصابات التي تستغل معرفتهم العميقة بالصحراء. كانت الحروب على الأرض الصحراوية تتسم بصعوبة كبيرة للجيش الفرنسي، خاصة مع الخواص الجغرافية التي جعلت المطاردة والقتال في الصحراء أمرًا معقدًا للغاية. استخدم الطوارق تكتيكات الكرّ والفرّ، حيث كانوا يشنون هجمات سريعة على الجنود الفرنسيين ثم يختفون في الرمال أو في الوديان الصحراوية، مما أدى إلى إبطاء تقدم القوات الفرنسية في المنطقة. هذا النمط من المقاومة جعل الفرنسيين مضطرين إلى زيادة أعداد قواتهم في الصحراء بشكل كبير، الأمر الذي أرهاقهم من الناحية اللوجستية. فضلاً عن ذلك، كانت تكلفة الحرب باهظة، إذ تم تخصيص موارد ضخمة من أجل الحفاظ على الأمن في هذه المناطق الشاسعة، الأمر الذي دفع فرنسا إلى مواجهة ضغوط اقتصادية كبيرة. إضافة إلى ذلك، فقد اضطر الفرنسيون إلى الانخراط في حرب طويلة الأمد غير متكافئة في صحراء الأزرق، مما جعلهم يعانون من استنزاف مستمر في مواردهم البشرية والمادية.^(٧٣) على المستوى السياسي، كان لمقاومة الطوارق تأثير كبير على الخطط الاستعمارية الفرنسية في شمال أفريقيا. حيث أصبح من الواضح أن السيطرة على المناطق الصحراوية لا يمكن أن تتم بسهولة كما كان متوقعًا. زادت المقاومة من تعقيد العملية الاستعمارية، مما أجبر فرنسا على تعديل استراتيجياتها. بدايةً من تعزيز الدفاعات العسكرية، وصولاً إلى محاولة السيطرة على النقاط الاستراتيجية الهامة، مثل ممرات القوافل وطرق التجارة عبر الصحراء. هذا التغيير في الاستراتيجيات كان يعني أيضًا تخصيص المزيد من الوقت والجهد من قبل الحكومة الفرنسية، وهو ما أضر بجهودها في مناطق أخرى من المستعمرات الفرنسية.^(٧٤) من الناحية الاجتماعية، كانت مقاومة

الطوارق أيضاً سبباً في تغيير التصورات الفرنسية عن هذه الشعوب الصحراوية. فبينما كان الطوارق في البداية يُنظر إليهم كقبائل بدوية وغير متحضرة، أظهرت مقاومتهم قوة إرادتهم وصلابتهم في الدفاع عن استقلالهم وحقوقهم. في هذا السياق، كان هذا النوع من المقاومة يعكس عمق الارتباط الذي كان يحمله الطوارق بأرضهم وهويتهم الثقافية والدينية، وهو ما جعل الفرنسيين يعيدون تقييم وضعهم في هذه المناطق.^(٧٥) أما من الناحية النفسية، فقد شكلت مقاومة الطوارق ضغوطاً نفسية كبيرة على الجنود الفرنسيين. فقد عانى هؤلاء الجنود من مشاعر الإحباط والتعب بسبب الحروب الطويلة في بيئة صحراوية قاسية، حيث كان الجهد العسكري لا يحقق نتائج سريعة. وبذلك، فإن مقاومة الطوارق لم تكن مجرد تحدي عسكري، بل كانت صراعاً نفسياً وثقافياً أضر بمعنويات القوات الفرنسية وأدى إلى تراجع الثقة في بعض القادة العسكريين الفرنسيين الذين كانوا يواجهون صعوبة في إيجاد حلول فعالة للقضاء على هذه المقاومة.^(٧٦)

بالإضافة إلى ذلك، ساهمت هذه المقاومة في تشكيل وعي جماعي بين الشعوب الأخرى في شمال أفريقيا بشأن الاستعمار. فقد كانت مقاومة الطوارق مصدر إلهام للقبائل الأخرى في المنطقة، الذين بدأوا في فهم أن الاستعمار ليس قدراً محتوماً بل هو أمر يمكن مقاومته. هذه الرسالة كانت تؤثر على مجريات الأحداث في المنطقة وتساهم في إشعال حركات مقاومة أخرى ضد الاستعمار الفرنسي في مناطق أخرى مثل الجزائر وتونس والمغرب.

الخلاصة

تعد ثورة الطوارق ضد الوجود العثماني والتحركات الفرنسية في صحراء الأزرق جزءاً مهماً من تاريخ المنطقة، إذ تعكس الصراع المستمر بين القوى الاستعمارية والمحلية في شمال إفريقيا. لقد شكلت هذه الثورات رد فعل طبيعياً من قبائل الطوارق على التدخلات الأجنبية التي كانت تهدد استقرارهم الثقافي والسياسي. كانت هذه الثورات، بالرغم من تباينها الزمني، تعبيراً عن المقاومة المستميتة لتغيرات النظام الاجتماعي والسياسي الذي كان يعارضه الطوارق. خلال الحقبة العثمانية، كان الطوارق في صحراء الأزرق يواجهون توترات مع السلطات العثمانية التي كانت تسعى لفرض سيطرتها على المنطقة. وقد أبدع الطوارق في مقاومة هذا النفوذ، معتمدين على معرفتهم الجغرافية العميقة وتقاليدهم العسكرية. تلك الصراعات أسهمت في تعزيز الهوية الطارقية كمقاومين لأي قوة خارجية تسعى للهيمنة على أرضهم. وعندما بدأت التحركات الفرنسية في المنطقة في القرن التاسع عشر، وجد الطوارق أنفسهم أمام تهديد آخر أشد وطأة. فبالإضافة إلى مقاومتهم للوجود العثماني، كان عليهم التصدي لمحاولات التوسع الفرنسي الذي كان يهدف إلى الهيمنة على الصحراء الكبرى. وقد نجح الطوارق في تشكيل تحالفات مع قبائل أخرى في المنطقة لمحاربة هذا التوسع الفرنسي. ورغم التحديات التي واجهوها، إلا أن إرادتهم في الحفاظ على استقلالهم كانت حافزاً لهم في تلك المواجهات.

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى ما يأتي:

أولاً: لم يكن الطوارق راضين عن الانضواء تحت الحكم العثماني في مدينة غات لاسيما أنهم فقدوا مزايا كثيرة كانوا يحصلون عليها قبل الوجود العثماني واحتلال غات، وقد لاحظنا أنهم كانوا علي أهبة الاستعداد للانقضاض علي هذا الحكم في انتظار من يشعل الشرارة الأولى للثورة.

ثانياً: وتم إعلان الجهاد لتطبيق تعاليم الدين الإسلامي ضد المحتل ومقاومة الفساد وهذا ما نداء به الشريف حميد، والشريف محمد الكيلاني، وتحقق لها الانتفاضة بالرغم أنهم ليسوا من سكان فزان ولا غات، وثار الطوارق على الحكم العثماني في ١٨٨٦/١٠/٥.

ثالثاً: استرد العثمانيون غات مرة أخرى عام ١٨٨٧م بموجب اتفاق بين الطرفين، ولاحظنا أن الطوارق لم يتنازلوا عن غات للدولة العثمانية إلا بشروط تم الاتفاق عليه قد كانت لصالح الطوارق برغم الاحتلال المفروض عليهم.

رابعاً: تحرك فرنسا الاستعماري ببلاد الأزرق مر بالعديد من المحاولات التي كانت غالباً ما تنتهي بالفشل، بالرغم من الاتفاقيات الدولية كالتى مع الإنجليز عام ١٨٩٠ م.

خامساً: كان الشغل الشاغل للدولة الفرنسية هو السيطرة على بلاد الأزرق من أجل النفوذ إلى الصحراء الكبرى والذي لا يتم إلا عن طريق تأسيس علاقات طيبة مع هذا الشعب.

سادساً: لم تتجح السلطات الفرنسية في تحول تجارة أهم مدن الطوارق التجارية غدامس وغات إلى تونس بسبب النزعات الطوارق وغيرها من القبائل الأخرى بالمنطقة.

المراجع العربية:

- أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٩م.
- بشير قاسم يوشع، غات ملامح وصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، أغسطس ٢٠١١.
- بير رونفان، تاريخ العلاقات الدولية، (القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤)، ت: جلال يحيى، القاهرة، ١٩٨٠م.
- دار المحفوظات التاريخية طرابلس وثيقة رقم ٤، ملف الشؤون الداخلية، بتاريخ ١٣٠٣ هـ (١٨٨٧).
- دار المحفوظات التاريخية طرابلس، وثيقة رقم ٥٩٣٤ ملف فزان، بتاريخ ١٣٠٢ هـ.
- دار المحفوظات التاريخية، طرابلس ملف فزان، رقم ١، وثيقة رقم ٢٣، الوثيقة المؤرخة في سنة ١٨٦٢م.
- رسالة من القنصل الفرنسي في طرابلس إلى وزير الخارجية بتاريخ ١٨٩١/٩/٢٦.
- صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بإفريقيا، ترجمة عبد الكريم أبو شويرب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٨م.
- صدقي الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي، ط ١، القاهرة، ١٩٧١م.
- ع. ف. ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس ١٩٩٢م.
- عبد الرحمن تشايحي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة: علي إعززي، ط ٢، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، أغسطس/ آب، ١٩٩٣م.
- عدنان جعفر علي، الطوارق في إيالة طرابلس في العصر (العثماني) ١٨٧٦-١٩١١: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة بنها - كلية الآداب - التاريخ، ٢٠٢٢م.
- عماد الدين غانم، المجتمع الليبي لدى الرحالة الأجانب، ندوة المجتمع الليبي (١٨٣٥-١٩٥٠) تقديم وإعداد محمد الطاهر الجاروي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٥م.
- فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، المجلد الأول، دون مكان وتاريخ النشر.
- محفوظ أغ عدنان، مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي في الصحراء الكبرى - ١٨٨٠ - ١٩٦٠م، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الدراسات الإفريقية العليا - قسم التاريخ، ٢٠١٥م.
- محمد أحمد الطوير، الحركات التحريرية ضد الولاة العثمانيين بليبيا، ١٥٥١-١٩١١ مجلة البحوث التاريخية المغربية، س ١٦، ع ٥٣-٥٤، تونس، ١٩٨٩م.
- محمد أحنواي بوعجيلة، أطماع الاستعمارية الأوربية في ليبيا، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، س ١٣، ع ٢، ١٩٩٢م.
- محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى ١٨٥٤-١٩٨٦ بيروت، الطبعة الثانية، دار الملتقى للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
- مركز البحوث والدراسات التاريخية، وثيقة رقم ٣٤ ملف الوثائق السياسية، قسم الوثائق الأجنبية، طرابلس د.ت.
- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، وثيقة رقم ٤٩٤٦، ملف الأمن على الحدود الغربية، قسم الوثائق الأجنبية، طرابلس، ليبيا بتاريخ، ١٥، نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٩٦م.
- مركز جهاد الليبيين طرابلس ليبيا وثيقة رقم ٤٧٥٣، ملف الأمن على الحدود الغربية، بتاريخ ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٧م.
- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس وثيقة ٤٩٢، ١٨٨٧م.
- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا في رسالة من أحد الطوارق يخبر القنصل الإنجليزي بمرزق عن أوضاع الطرق التجارية ويخبره بأنها آمنة من جانبهم بتاريخ ١٨٨٧.
- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، وثيقة رقم ٢٩٣٠، قسم الوثائق الأجنبية ملف الشؤون السياسية، طرابلس، ليبيا، رسالة السفير الفرنسي في روما بارير إلى وزير الخارجية الإيطالي، بتاريخ ١٩٠٠/١٢/١٤.

- مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، وثيقة رقم ٤٥٧٣ ملف الأمن على الحدود الغربية، طرابلس ليبيا، بتاريخ ١٨٨٥م.
- ن . أ . بروشين، تاريخ ليبيا الحديث من منتصف القرن السادس عشر، حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة: عماد الدين غانم ، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، ١٩٩١ م.
- ه . أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) ت : أحمد نجيب هاشم . ووديع الضبع، الطبعة السادسة، القاهرة، د.ت.
- يحيى بوعزيز: تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩١م.

المراجع الأجنبية:

- Adu A. Boahen, Britn and the Sahara and west Sudan London, 1964.
- Berkeley, Calif; Univeristy of California Press, 1988.
- Bernard, Frédéric)1886(. Deux Missions Françaises chez les Touareg en 1880-1881, A. Jordan, Alger, 1896.
- Briggs, L. Cabot. "A Review of the Physical Anthropology of the Sahara and Its Prehistoric Implications". Man. February 1957.
- Charles Lapworth, Tripoli and the Young, London; Stephen Sweft, 1912.
- CRISPI F: Politca estera 1876- 1890 Question internationali, Trad francaie de P. Garrigu, tunis 1913.
- Desplaus, Servan, La Politique Franco-Touareg in nouvelle revue, T LX XXIII, 1893.
- Deux episodes de la guerre au Sahara. Les rapports du Marechal -22 des Logis Lapierre", Bul. C.A.F., Suppl.
- Emerit Marcel, «Une Source pour l'histoire du second empire: les souvenirs du général Desvaux», in revue d'histoire moderne et contemporaine, t 21, Prais, janvier- mars 1974.
- Emnest Nathanied Bennett, Sir, With the Turks in Tripoli; Being Some Experiences the Turco Itaian War OF 1911(London :Methuen and Co .Ltd 1912.
- Harry T. Norris. The Tuaregs: Their Islamic Legacy and Its Diffusion in the Sahel. London: Warminster.1976.
- Les Deux Missions Transsahariens du. Lt. Flatters", Bul. Soc. Geo., Alger 1909.
- Marion Johnson, Calico Caravans the Tripoli, Kano trade after 1880. Journal of African History Vol. xvII, 1.
- Mark Dyer, «Export production in western, 1759-1793» African Economic History, no .13 (1984).
- Monroe, J. Cameron. ""Elephants for Want of Towns": Archaeological Perspectives on West African Cities and Their Hinterlands". Journal of Archaeological Research. 26 (4). 2018.
- Nicolaisen, Johannes and Ida Nicolaisen. The Pastoral Tuareg: Ecology, Culture and Society Vol. I & II. New York: Thames and Hudson, 1997.
- Orhan Kologlu , "Turkish – Libyan relations (1945-1993)" , Turkishs Review of Middle East Studie Ann 1993 , No.7 , Istanbul , 1993.
- Ottoni, Claudio; Larmuseau, Maarten H. D.; Vanderheyden, Nancy; Martínez-Labarga, Cristina; Primativo, Giuseppina; Biondi, Gianfranco; Decorte, Ronny; Rickards, Olga. "Deep into the roots of the Libyan Tuareg: a genetic survey of their paternal heritage". American Journal of Physical Anthropology. 1 May 2011.
- Rasmussen, Susan J. "Tuareg". In Levinson, David (ed.). Encyclopedia of World Culture, Volume 9: Africa and the Middle East. G.K. Hall, 1996.
- Schlichte, Klau. "Is ethnicity a cause of war?". Peace Review. 1 March 1994.
- Stewart, C. C. "The Tuaregs: Their Islamic Legacy and its Diffusion in the Sahel. By H. T. Norris". Africa.
- Tekest Ncgash Italian Colonialism in Eritrea, 1882; policies, and Im pacl Uppsala; Sweden, 1987.
- Wolfgang Weissleder. The Nomadic Alternative: Modes and Models of Interaction in the African-Asian Deserts and Steppes. Walter de Gruyter. 1978.

(١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس وثيقة رقم ٤ ، ملف الشؤون الداخلية، رسالة من جماعة تجار طرابلس والمجبرة والسواكنة إلى قائمقام فزان يذكرون فيها قصة الشريف المحرض على الثورة، ووقفهم معه بتاريخ ١٣٠٣ هـ (١٨٨٧).

- (٢) دار المحفوظات التاريخية، وثيقة رقم ٤، ملف الشؤون الداخلية، المصدر السابق.
- (٣) بشير قاسم يوشع، غات ملامح وصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، أغسطس ٢٠١١، المرجع نفسه، ص ٣٠٤.
- (٤) يتضح من خلال المفاوضات التي جرت بين الطوارق وبعض أهالي غات من العرب بعيداً عن السلطة العثمانية انتهت بتحميلهم تسليم غات للدولة العثمانية وطالبوهم بإخراجهم من غات وإلا سيشملهم ما سيلحق بالعثمانيين من قتل. انظر: (صدقي الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي، ط ١، القاهرة، ١٩٧١ م سابق، ص ٢٣٤).
- (٥) مركز البحوث والدراسات التاريخية، طرابلس وثيقة رقم ٣٤ ملف الوثائق السياسية، قسم الوثائق الأجنبية رسالة موجهة للسفارة العثمانية في باريس تحذرها من إعطاء تأشيرات لرعاياها للدخول إلى الصحراء الليبية لعدم توفر الأمن بالولاية وبصحراء الأزرق، د.ت.
- (٦) توفي سلطان الطوارق أخنوخن الشهر عام ١٨٨٦ م بعد أن تجاوز مائة عام من عمره، وكان من المفروض أن يحل محله ابن أخته يحيى اغ تليماك حسب تقاليد الطوارق إلا أن بعد وفاته حدثت بعض المشاكل بسبب الخلافة من بعده إلا أن على ما يبدو أن طريقة تنصيب الطوارق للأمنوكال بدأت تتغير فأصبحت أمور السلطنة تورث للابن الأكبر. انظر (بشير قاسم يوشع، غات ملامح وصور، ص ١١٨).
- (٧) المرجع السابق، ص ٣١٣.
- (٨) رسالة من أحمد أبو زمالة إلى محمد المختار بن أحمد بخصوص رسائل ليحيى ابن محمد بن أخت اخنوخن ٢٦ شوال ١٣٠٣، المرجع السابق، ص ١٧٨.
- (٩) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، وثيقة رقم ٥٩٣٤ ملف فزان، رسالة عن أحوال غات وضواحيها وأخبار الشريف الذي يريد مسكه الصافي، بتاريخ ١٣٠٢ هـ.
- (١٠) بشير قاسم يوشع، غات ملامح وصور، المرجع السابق، ص ٩٨.
- (١١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، وثيقة رقم ٥٩٣٤ ملف فزان، المصدر السابق.
- (١٢) محمد أحمد الطوير، الحركات التحريرية ضد الولاة العثمانيين بليبيا، ١٥٥١-١٩١١ مجلة البحوث التاريخية المغربية، س ١٦، ع ٥٣-٥٤، تونس، ١٩٨٩، ص ١١٨.
- (١٣) انظر: (تشايجي، عبد الرحمن، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة: علي إعززي، ط ٢، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، أغسطس/ آب، ١٩٩٣، ص ١٦٨).
- (١٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملف الشؤون الداخلية رسالة من جماعة من تجار طرابلس،
- (١٥) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملف الشؤون الداخلية، المصدر سابق
- (١٦) Marion Johnson, Calico Caravans the Tripoli, Kano trade after 1880. Journal of African History Vol. xvII, 1. 1976. p.110.
- (١٧) بشير قاسم يوشع، المرجع السابق، ص ٣٠٥.
- (١٨) صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بإفريقيا، ترجمة عبد الكريم أبو شويرب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٨، ص ص ١٤٨-١٤٩.
- (١٩) محمد أحنأوى بوعجيلة، أطماع الاستعمارية الأوربية في ليبيا، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، س ١٣، ع ٢، ١٩٩٢ م، ص ١٠٤.
- (٢٠) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس وثيقة ٤٩٢، ملف الشؤون الداخلية رسالة من جماعة من بعض القبائل العربية إلى قائمقام فزان يذكرون فيها قصة الشريف المحرض على الثورة، ووقفهم معه بتاريخ ١٨٨٧ م؛ محمد أحمد الطوير، مجلة البحوث التاريخية المغربية، س ١٦، ع ٥٣-٥٤، المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٢١) الرقاص: يقصد به الرسول الذي يحمل الرسائل.
- (٢٢) أولاد سليمان: هم من عرب ويرجع أصلهم إلي (دباب جذم) بني سليم تقيم قبيلة أولاد سليمان في مناطق سرت وفزان في ليبيا ومنتشرة كذلك في كانم بنشاد، والنيجر، ومصر، وتونس، اشتهر أولاد سليمان بالغزو وعدم الخضوع للسلطة وكذلك فقبيلة أولاد سليمان معروفه بتمردهم ضد السيادة العثمانية. (هنريكو دي أوغسطيني، المرجع السابق، ص ١٨٦).

- (٢٣) بشير قاسم يوشع، المرجع السابق، ص ٣٠٥
- (٢٤) دار المحفوظات التاريخية، طرابلس ملف فزان، رقم ١، وثيقة رقم ٢٣، الوثيقة المؤرخة في سنة ١٨٦٢م.
- (٢٥) تشايجي، المرجع السابق، ص ١٥٤.
- (٢٦) مركز جهاد الليبيين طرابلس ليبيا وثيقة رقم ٤٧٥٣، ملف الأمن على الحدود الغربية، رسالة من قائمقام غدامس إلى والي الولاية بطرابلس، بتاريخ ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٧ م.
- (٢٧) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا في رسالة من أحد الطوارق يخبر القنصل الإنجليزي بمرزق عن أوضاع الطرق التجارية ويخبره بأنها آمنة من جانبهم بتاريخ ١٨٨٧.
- (٢٨) تشايجي، المرجع السابق، ص ١٢٨
- (٢٩) Adu A. Boahen, Britn and the Sahara and west Sudan London, 1964 op. cit, P. 132- 212., P. 132- 212.
- (٣٠) بشير قاسم يوشع، المرجع السابق، ص ٣٠٦.
- (٣١) بشير قاسم يوشع، المرجع السابق، ص ٣٠٦
- (٣٢) كارل بيترز Karl Peters سائح ألماني ولد في نوخوس على نهر ألبه أسس جمعية الاستعمار الألمانية في برلين عام ١٨٨٤ وخلف تيارا استعماريًا في ألمانيا وقد أسس مستعمرة شرقي أفريقيا الألمانية وله عدة مؤلفات حول رحلاته السياحية؛ تشايجي، ص ٢٣١.
- (٣٣) Mark Dyer, «Export production in western, 1759-1793» African Economic History, no. 13 (1984), P. 118.
- (٣٤) هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أور وبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) ت: أحمد نجيب هاشم. ووديع الضبع، د.ت، ص ١١٨
- (٣٥) بير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية، (القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤)، ت: جلال يحيى، القاهرة، ١٩٨٠، ص ص ١١٩-١٢٠.
- (٣٦) تشايجي، المرجع السابق، ص ١٣٤ وما يليها.
- (٣٧) ن. أ. بروشين، تاريخ ليبيا الحديث من منتصف القرن السادس عشر، حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٩١ م، ص ٣١٤.
- (٣٨) Emerit Marcel, «Une Source pour l'histoire du second empire: les souvenirs du général Desvaux», in revue d'histoire moderne et contemporaine, t 21, janvier- mars 1974, Prais, PP. 27-32
- (٣٩) اللورد سالسبوري: أحد رجال الدولة الإنجليزية ولد في هاتفيلد (HAFIELD) عام ١٨٣٠م وانتخب عضواً في البرلمان عام ١٨٥٣ وكان من حزب المحافظين، وفي عام ١٨٦٨م حل محل أبيه في مجلس اللوردات، وفي عام ١٨٧٤م تولى وزارة الهند بحكومة دزرائيلي، وقد مثل الدولة ١٨٧٧، وفي مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م، وفي عام - الإنجليزية في مؤتمر اسطنبول عام ١٨٧٦ ١٨٨٠م أصبح رئيس حزب المحافظين؛ وفي عام ١٨٨٥م أصبح رئيس الوزراء، وفي عام ١٨٨٦م تولى ثانية رئاسة الوزراء واستقال عام ١٩٠٢م وقد توفي في ١٩٠٣ م. انظر: ع. ف. ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس ١ ص ٩.
- (٤٠) ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص ٣٩٨
- (٤١) أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٩ م، ص ٣.
- (٤٢) النص الفرنسي للمذكرة العثمانية التي فرضت حقها فوق هنترلاند طرابلس الغرب حتى الكونغو والكاميرون مؤرخة في ٣٠ أكتوبر/تشرين الأول ١٨٩٠ انظر (عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص ٢٧٠-٢٧١).
- (٤٣) وثيقة النص الفرنسي للمذكرة التركية التي فرضت حقها فوق هنترلاند طرابلس الغرب حتى الكونغو والكاميرون مؤرخة في ٣٠ أكتوبر/تشرين الأول ١٨٩٠ المصدر السابق.
- (٤٤) ريبوت الكساندر، أحد رجال الدولة الفرنسية ولد في سين اومير عام ١٨٤٢م، وكان في البداية موظفاً في وزارة العدل، وبعدها انتخب عضواً في البرلمان لعام ١٨٧٠ م، وأصبح من رؤساء الحزب الجمهوري، وفي عام ١٩١٤م أصبح وزيراً للمالية وفي عام ١٩١٧م ولي رئاسة الوزارة ثانياً لمد خمسة أشهر، وتوفي في باريس عام ١٩٢٣ محمد سعيد القشاط، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى ١٨٥٤-١٩٨٦ بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ١٩٩٨ م، الطبعة الثانية، ص ٦٢
- (٤٥) جواب إنكلترا المؤرخة ١٩-١١-١٨٩٠.
- (٤٦) فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، المجلد الاول، دون مكان وتاريخ النشر، ص ٢٨٤.

(٤٧) أن حاكم بورنو طلب إبراز الرخصة المأخوذة من السلطات ال عثمانية، كان من ١٥٠ مسلحاً قد جاءوا عام ١٨٩٠ م و ١٠٠ مسلح فرنسي جاءوا عام ١٨٩١ م إلى برنو أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية رسالة من القنصل الفرنسي إلى الوزير بتاريخ ١٠ / ٦ / ١٨٩١ م. انظر عبد الرحيم تشايجي ٢٧٢

(٤٨) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، وثيقة رقم ٢٩٣٠ ، قسم الوثائق الأجنبية ملف الشؤون السياسية، رسالة السفير الفرنسي في روما بارير إلى وزير الخارجية الإيطالي بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٠٠ ، عقب إبرام اتفاقية ٢١ / ١٢ / ١٨٩٩ ، بين فرنسا وبريطانيا انتهزت حكومتي فرصة الرد على سلفكم المحترم لتقدم إليه عن طريقي إيضاحات من شأنها أن تبدد كل غموض حول مغزى تلك الاتفاقية، وبعد ذلك يعبر سعادتكم من شأنها أن تبدد كل غموض حول مغزى تلك الاتفاقية، وبعد ذلك يعبر سعادتكم عن رأيه بان تكرار هذه الضمانات بطريقة أكثر صراحة سيسهم في تمتين العلاقات الطيبة بين بلدينا، ونتيجة ذلك إذن لي وزير الخارجية بأن أنقل إلى علم سعادتكم نظرا لعلاقات الصداقة القائمة بين فرنسا وإيطاليا واعتقاد بان هذا التفسير سيؤدي إلى المزيد من تمتين العلاقات، إن اتفاقية ٢١ / ٣ / ١٨٩٩ بتركها ولاية طرابلس خارج تقسيم مناطق النفوذ الذي نصت عليه، وقد وضعت لمنطقة النفوذ الفرنسي في مواجهة طرابلس وبرقة حدا لا تنوي حكومة الجمهورية تجاوزه، وأنه لا يدخل في مشاريعها قطع طريق القوافل الذي يصل طرابلس بالمناطق التي تستهدفها تلك الاتفاقية هذه التوضيحات التي اتفقنا على بقائها سرية، لاشك في أنها ستسهم في تمكين علاقات الصداقة القائمة بين بلدينا في هذه النقطة أو في غيره.

(٤٩) Tekst Negash Italian Colonialism in Eritrea, 1882; policies, and Im pacl Uppsala; Sweden, 1987, P. 2. (٥٠) ورغم هذه المراجعة لم يتحقق مثل هذا الأمر أن فالاحتلال الإيطالي للجنوب الليبي والاحتلال الفرنسي بالنسبة لسكان الجنوب الليبي بشكل عام ولاسيما من الطوارق وهو مثل الاحتلال الإيطالي غير المرغوب به فالوقائع التي جرت أكدت هذا الاحتمال.

(٥١) Charles Lapworth, Tripoli and the Young (London; Stephen Sweft, 1912), Chap.3 (٥٢) اشتد قلق الدولة الإيطالية من المعاهد الإنجليزية الفرنسية عام ١٨٩٠ م ولذلك أبلغت إنكلترا بأن فرنسا تهدد طرق الصحراء الرئيسة واقتصاد ليبيا وكذلك أبلغت الباب العالي بان الفرنسيين سيقمون سكة حديد بين غدامس وغات، لأنهم يقصدون السيطرة على الولاية ولذلك يجب عليه أن يتحرك للمحافظة على حقوقه وكانت نيات إيطاليا تتمثل في أن تدعي بأن التوازن قد انتهك في البحر المتوسط وتستولي على ليبيا استنادا إلى إحكام حلف البحر المتوسط والحلف الثلاثي ولتحقيق ذلك كان يجب عليها أن تثبت أن التوازن قد انتهك. للمزيد انظر: CRISPI F: Politca estera 1876- 1890 Question internationali, Trad francaie de P. Garrigu, tunis 1913. P. 357.

(٥٣) وكان ذلك لتسهيل العلاقات التجارية مع غدامس وتأسيس أسواق قرب غات و غدامس وتسهيل المعاملات للتجار ولجذبهم إلى داخل حدود الحكم الفرنسي ، ولتحقيق هذا الأمر يجب أن توسع صلاحية القادة والضباط العاملين في الحدود وتأسيس قنصلية في غدامس وكان فيرو قد طالب في ربيع عام ١٨٨١ م أحداث وكالة غدامس بعد مقتل فلاتر وانهايار النفوذ الفرنسي في الصحراء وأن يرأسها الحاج طاهر باسيدي وهو من نبلاء غدامس و أغنيائها وصديق لفرنسا ولكن ذلك لم يتحقق بعد رفض الباب العالي. انظر: (فيرو، المصدر السابق، ص ٨٣).

(٥٤) Emnest Nathanied Bennett, Sir, With the Turks in Tripoli; Being Some Experiences the Turco Itaian War OF 1911(London :Methuen and Co .Ltd 1912, PP. 6-7.

(٥٥) رسالة من القنصل الفرنسي في طرابلس إلي وزير الخارجية بتاريخ ٢٦ - 9 ١٨٩١. (٥٦) عماد الدين غانم، المجتمع الليبي لدى الرحالة الأجانب، ندوة المجتمع الليبي (١٨٣٥-١٩٥٠) تقديم وإعداد محمد الطاهر الجاروي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٥ م، ص ١٩٤.

(٥٧) Peter Von Sivers, «Rural Uprisings as Political Movements in Colonial Algria»: Julia Clancy-Smith, «Saints,Mahdis, and Arms: Religlon and Resistance in Nineteenth Can-tury North Afgeria» and Fanny Fanny (Algeria): Nincteenth and Twentieh Centuries» in: Edmund Burke III and Ira Lapidus, eds, Islam, Politics and Social Movements (Berkeley, Calif; Univeristy of California Press, 1988).

(٥٨) وثيقة رقم ٤٩٤٦ ، ملف الأمن على الحدود الغربية، قسم الوثائق الأجنبية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا بتاريخ، ١٥ ، نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٩٦ م، حول قيام الفرنسيين بوضع جنود لهم بأعداد كبيرة في بعض المناطق الجنوبية القريبة من طرابلس الغرب واحتمال قيامهم باحتلال مناطق معينة، ثم ضرورة مد خط للتلغراف إلى مدينة غدامس.

- (٥٩) مركز جهاد الليبيين، طرابلس ليبيا وثيقة رقم ٤٥٧٣ ملف الأمن على الحدود الغربية، بتاريخ ١٨٨٥ ، حول الأخبار التي وصلت بأن هناك حشودا عسكرية فرنسية على حدود طرابلس الغرب لا أساس لها من الصحة، غير أنه في حال وقوع هجوم من إيطاليا على طرابلس الغرب فإنها سوف تسعى للتحالف مع فرنسا وألمانيا.
- (٦٠) Orhan Kologlu , "Turkish – Libyan relations (1945-1993)" , Turkishs Review of Middle East Studie Ann 1993 , No.7 , Istanbul , 1993, P.138.
- (٦١) Desplaus, Servan)1893(. La Politique Franco-Touareg in nouvelle revue, T LX XXIII.
- (٦٢) Bernard, Frédéric)1886(. Deux Missions Françaises chez les Touareg en 1880-1881 (1896), A. Jordan, Alger.
- (٦٣) Les Deux Missions Transsahariens du. Lt. Flatters", Bul. Soc. Geo., Alger 1909, 43-61.
- (٦٤) يحيى بوعزيز: تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ١٩٩١. ص ٧٠.
- (٦٥) Deux episodes de la guerre au Sahara. Les rapports du Marechal -22 des Logis Lapierre", Bul. C.A.F., Suppl. 1920, 62-91.
- (٦٦) محفوظ أغ عدنان، مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي في الصحراء الكبرى - ١٨٨٠ - ١٩٦٠ م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة، كلية الدراسات الإفريقية العليا - قسم التاريخ، ٢٠١٥، ص ٧٤.
- (٦٧) Rasmussen, Susan J. (1996). "Tuareg". In Levinson, David (ed.). Encyclopedia of World Culture, Volume 9: Africa and the Middle East. G.K. Hall. pp. 366-369.
- (٦٨) عدنان جعفر علي، الطوارق في إيالة طرابلس في العصر (العثماني) ١٨٧٦-١٩١١ : دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة بنها - كلية الاداب - التاريخ، ٢٠٢٢، ص ١٢٢.
- (٦٩) Ottoni, Claudio; Larmuseau, Maarten H. D.; Vanderheyden, Nancy; Martínez-Labarga, Cristina; Primativo, Giuseppina; Biondi, Gianfranco; Decorte, Ronny; Rickards, Olga (1 May 2011). "Deep into the roots of the Libyan Tuareg: a genetic survey of their paternal heritage". American Journal of Physical Anthropology. 145 (1): 118-124.
- (٧٠) Harry T. Norris (1976). The Tuaregs: Their Islamic Legacy and Its Diffusion in the Sahel. London: Warminster. pp. 1-4, chapters 3, 4.
- (٧١) Stewart, C. C. (1977). "The Tuaregs: Their Islamic Legacy and its Diffusion in the Sahel. By H. T. Norris". Africa. 47 (4): 423-424.
- (٧٢) Briggs, L. Cabot (February 1957). "A Review of the Physical Anthropology of the Sahara and Its Prehistoric Implications". Man. 56: 20-23.
- (٧٣) Nicolaisen, Johannes and Ida Nicolaisen. The Pastoral Tuareg: Ecology, Culture and Society Vol. I & II. New York: Thames and Hudson, 1997, p. 31.
- (٧٤) Wolfgang Weissleder (1978). The Nomadic Alternative: Modes and Models of Interaction in the African-Asian Deserts and Steppes. Walter de Gruyter. p. 17.
- (٧٥) Schlichte, Klaus (1 March 1994). "Is ethnicity a cause of war?". Peace Review. 6 (1): 59-65.
- (٧٦) Monroe, J. Cameron (2018). ""Elephants for Want of Towns": Archaeological Perspectives on West African Cities and Their Hinterlands". Journal of Archaeological Research. 26 (4): 387-446.